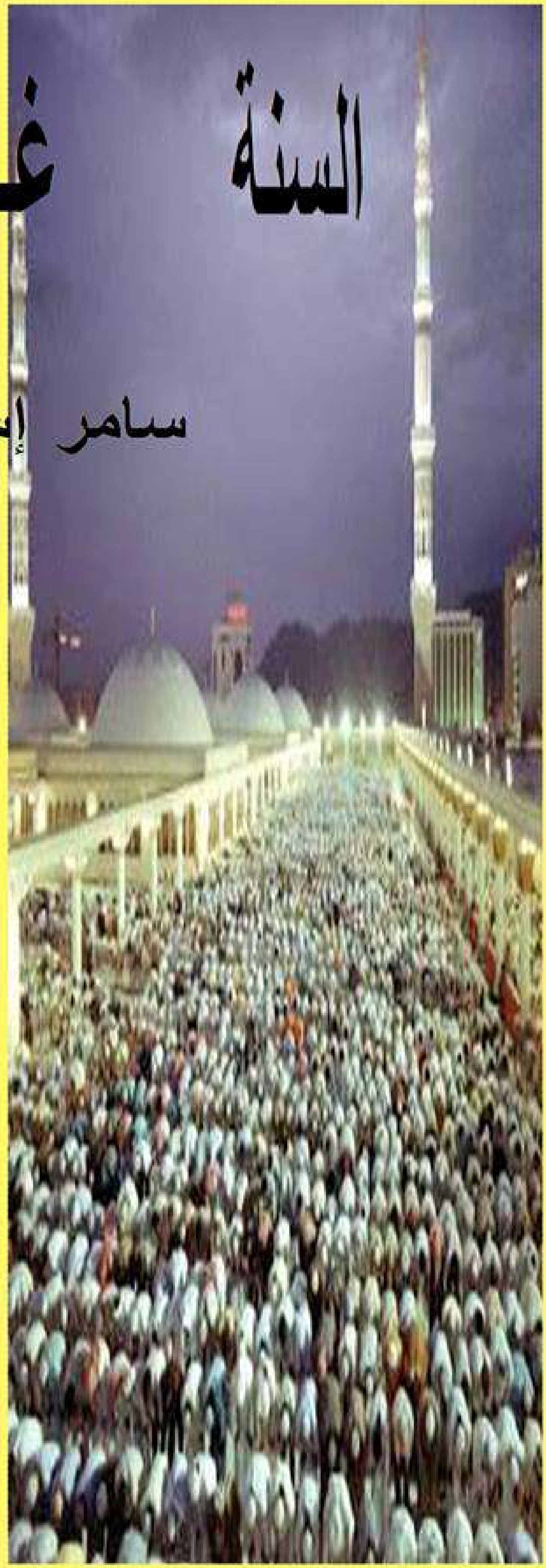
السنة غير الحديث

سامر إسلامبولي





مفـــهوم

الســـنة غير الحـديث

سامر إسلامبولي

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }

الحجرات13

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمـة

﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾

(الفرقان 30)

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾

(الأنعام 19)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت 26)

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(يونس 15)

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(الإسراء 9)

﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران 138)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة 104)

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾(البقرة 79)

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل 116)

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾(يونس 59)

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾(الأنعام 151)

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾(الأعراف 32)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (الجاثية 13)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة 30)

المدخل

يسرني أن ألتقي بكم في هذا المركز الإسلامي المبارك، إن شاء الله، للتحاور وتداول وجهات النظر، والاستماع إلى الآراء الأخرى لتزكية الأفكار، ونقدها النقد البناء الإيجابي، وتحديثها، لأن لكل زمن معطيات، واستخدام للأفكار بصورة اجتماعية وسياسية، ومن هذا الوجه ينبغي الانتباه أثناء دراسة الأفكار، واستحضار المعطيات التاريخية التي كانت الباعث على صياغة الأفكار بهذه الصورة، التي تخدم مصالح الفئة المستبدة حينئذ، فمن المعلوم أن الصراع السياسي كان وراء صياغة معظم المفاهيم الإسلامية، وولادة الفرق والطوائف، ولا ننسى أيضاً؛ دخول الوافدين من الثقافات الأخرى إلى الإسلام، لقد أدخلوا معهم ثقافتهم، وتم مزجها بالثقافة الإسلامية، ناهيك عن كمون العقلية الجاهلية في المجتمع الإسلامي، وظهورها في الثقافة الإسلامية كآلية عقلية تم استخدامها في فهم الإسلام، وخاصة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، إذ بدأت تظهر رويداً، رويداً، إلى أن ظهرت تماماً بعد انتهاء العصر السياسي الراشد، وولادة عصر القهر والغلبة، وتم قيادة الناس من خلال الاستبداد السياسي، والاستعباد الاجتماعي، والاقتصادي، وظهرت الأدبيات التي تكرس هذا المنحى أصولاً، ولساناً، وفقهاً، وشعراً، وعقيدة، وفكراً، فصارت الثقافة الإسلامية ثقافة استبدادية، واستعبادية كامنة في نفوس المجتمع، فإن قام المجتمع بتغيير مستبد حاكم، فيكون ذلك باستبداله بمستبد آخر، **لأننا لا نعرف**

إلا ثقافة الاستبداد، وكذلك فيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي، إن قام الحاكم بإصلاح ظلم وفساد في جانب، فيكون ذلك على حساب جانب آخر، أي ينتقل الظلم والفساد من جانب إلى آخر، والنتيجة واحدة، وربما أسوء، ومَرَدَّ ذلك إلى ثقافة الاستعباد المهيمنة على قلوب الشعوب، حتى صار عند الحاكم قناعة ومفهوم سياسي أن الشعوب لا تقاد إلا بالعصا ، والجوع ، والحرمان ـجَوِّع كلبك يتبعكـ ***وظهر مفهوم رعاية الناس قياساً على القطعان الحيوانية ورعايتها، وانتفى مفهوم العناية بالناس، فالرعاية هي عمل المقصد به مصلحة الراعي، وليس الرعية***، فالإنسان يرعى البقر ليس حبّاً لها، وإنما ليستفيد هو منها، فهو يقوم بتسمين العجول ليأكلها. ***بينما العناية موجهة إلى الآخر لمنفعته، ومصلحته، وليس إلى الفاعل !.*** فالحاكم يجب أن يقوم بالعناية للمجتمع، وليس برعايته، ***والسياسة تتحول من سياسة الرعاية إلى سياسة العناية، والناس من الرعايا إلى المواطنين*** .

فالثقافة التي وصلت إلينا من خلال التراكم التراثي لثقافة المجتمعات السابقة هي في معظمها مفاهيم تكرس الاستبداد، ومعظم المحاولات التحررية التي قامت في التاريخ، إنما قامت على أساس استبدال مستبد بمستبد آخر، وهذا يقتضي تعبئة المفاهيم بما يخدم مصلحة المستبد الجديد، ومن هذا الوجه تم وضع آلاف الأحاديث على لسان النبوة كذباً وافتراء، يحاول كل حزب إضفاء الشرعية على حركته، وأهدافه، وكان ذلك يتم غالباً بعد عملية القهر والغلبة والاستيلاء على السلطة،

فلم يصل منهم إلى قيادة الأمة أحد بصورة شرعية ابتداء غالباً، وهذا هو التاريخ شاهد على ما أقول، فحكام اليوم ليسوا بأسوأ من حكام الأمس **!**، حتى أن الإمام (جمال الدين الأفغاني ، أو محمد عبده)، يقرر هذه الحقيقة والمأساة (يائساً من رشاد الأمة) فيقول: **لا خلاص للأمة إلا بوجود مستبد عادل.**

هذا هو الوضع في الثقافة الإسلامية الحالية، ثقافة استبدادية، وممارسة استعبادية، ومع ذلك يطالب المثقفون بإزالة الاستبداد ليُحِلُّوا مكانه استبدادهم !، **والنتيجة صراع بين المستبدين، والضحية هو المجتمع المستباح ماله، والمسروق جهده، والمنهوب ثروات وطنه.**

إذاً؛ نحن الآن وجهاً إلى وجه أمام التراث الإسلامي الممزوج بسياسة الصراع على السلطة، القائم على فكر الاستبداد والاستعباد. ***لذا؛ ينبغي فرز الأفكار وفصلها عن الصراع السياسي التاريخي، ودراستها بصورة موضوعية دون ربطها بالرجال، والأحداث، وتنقيتها من ثقافة الاستبداد والاستعباد.***

أيها الأخوة

إن التاريخ أحداث قد مضت، فلا يمكن لإنسان أن ينتمي الآن إلى الأمويين، أو ينتمي إلى المعارضين لهم ـ سنة أو شيعة ـ ، والمعارك التاريخية أيضاً قد انتهت، وبالتالي لا يمكن أن نصحح نتيجة معركة، أو ننصر المظلوم منهم، ناهيك عن استحالة إعادة عظماء الأمة الشهداء إلى الحياة.

إن النقاش والجدال الذي جرى سابقاً في المجتمعات السالفة، هو نقاش يعبر عن تطلعاتهم وحاجاتهم، وكان في أغلبه تقف السياسة وراءه، مثل مسألة خلق القرآن، ومسألة القضاء والقدر، ومسألة العصمة والإمامة، وما شابه ذلك من مفاهيم، الأصل فيها أنها موجهة لإضفاء الشرعية، وإسقاط المسؤولية عن الحاكم، أو لنفي شرعيته، وتحميله المسؤولية كاملة أمام الرب، والعباد، أو لإعطاء المعارضة غطاء شرعي.

إن الأزمة التي يمر بها المجتمعات العربية والإسلامية، هي أزمة ثقافية في الدرجة الأولى، وما الأزمات الأخرى السياسية، والاقتصادية، وغيرها، إلاّ تبع للأزمة الثقافية، وأي علاج يتجاوز الأزمة الثقافية إلى غيرها من الأزمات فهو علاج مؤقت، ومُسَكِّنْ لآلام الأمة، وسرعان ما ينتهي مفعول المُسَكِّنْ، ويظهر الألم.

فالثقافة أولاً، وثانياً، وثالثاً، وينبغي البدء من المفاهيم الكلية، التي تحكم ثقافة المجتمع، وتصيغ العقل الإسلامي، فعرض مسألة أن لا بد من قَبُول الرأي الآخر، وحرية التعبير، دون وجود بناء وأساس ثقافي نظيف ومتين، سوف يذهب ذلك الجهد سدى، ولن يفلح أبداً، ***لأن هذه الأفكار هي ثمار لأفكار كلية سابقة عنها، لا بد أن توجد في المجتمع أولاً، فكيف من يحمل فكر تكفيري تقنعه بقَبُول الرأي الآخر؟!***،كيف تأمن لمن تقوم ثقافته على إقصاء الآخر.

لذا؛ ينبغي بناء الثقافة على المفاهيم العلمية، والإنسانية، من خلال كتاب الله الممثل بآيات الآفاق والأنفس، وآيات القرآن، ليصيرا

مع بعضهما بُعْدَين للرؤية العلمية والإيمانية، وهذه الخطوة مُناطة بالعلم، والفكر والتفكير، فإن غاب الفكر؛ حلَّ محله الكفر، وإن غاب التفكير؛ حل محله التكفير، وإن غاب العلم والوعي؛ حلَّ محله العنف، والاستبداد، والاستعباد.

أيها الأخوة الكرام

إن الفكر هو انفتاح على الآخرين، وتحديث للمفاهيم، والكفر انغلاق على ما بأنفسنا، والتسمم بمفاهيمنا، ونحن بحاجة إلى أمة راشدة أكثر من احتياجنا لحاكم راشد، والتاريخ يشهد أن الأمة عندما حكمها حاكم راشد، وهي لم تكن راشدة؛ قامت بقتله، واغتياله!، فالأمة الراشدة ينبثق منها حاكم راشد، بينما العكس ليس صواباً، فالحاكم الراشد لا يستطيع أن يقود أمة هابطة ومتخلفة،لأن النهضة حركة مجتمع ، وليس حركة فرد واحد.

إن هذه المحاضرة هي خطوة في هذا الطريق الطويل من الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله، وتحرير الناس من عبوديتهم لبعضهم بعضاً، وسوف يتبعها إن شاء الله دراسة، ومحاضرة لمجموعة من المفاهيم الكلية، التي تحكم ثقافة المجتمع، وتؤطره، نحو، مفهوم فصل الدين أو دمجه في الدولة، ومفهوم مصدرية الإجماع الشرعي، ومفهوم ألحا كمية، ومفهوم الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول للنص القرآني، ونقد قاعدة (لا اجتهاد في مورد النص)، ونقد قاعدة (الأصل في الأفعال التقيد)، ومفهوم العصمة، وكيف نتعامل مع النص القرآني، ومفهوم الحرية، ومفهوم أهل الكتاب، والشرك والكفر....إلى آخر المفاهيم الكلية التي

صاغت العقل الإسلامي، وعلى موجبها يتم التفكير والتعامل الاجتماعي.

وهذه الأفكار الكلية، هي التي ينبغي تغييرها في أنفسنا كمجتمع، حتى يأخذ قانون التغيير الاجتماعي مجراه، ويتم تغيير ما بالقوم من تخلف، وذل، وعبودية وانحطاط.

واخترت من المفاهيم الكلية للبدء بها موضوع (**السنة والحديث**) لأهميتهما عن غيرهم.

الترادف في اللسان العربي

أيها الأخوة والأخوات الكرام

إن مناقشة أي موضوع ثقافي يقتضي منا أن نعرض قبله عدة مواضيع أخرى متعلقة به، لعدم وجود الدراسة لها سابقاً، والموضوع الذي نحن بصدده مرتبط بها بصورة لازمة، هذا الموضوع؛ هو مسألة **الترادف في اللسان**. لأن هذه المسألة هي بمثابة حجر الأساس لدراسة الثقافة الإسلامية الممثلة بالنص القرآني.

إن ظاهرة الترادف في اللسان قد اشتهرت بمفهوم وجود عدة ألفاظ مختلفة والمعنى واحد. وبناء على هذا المفهوم الشائع، تناول العلماء هذه الظاهرة. فمنهم من أنكر هذه الظاهرة، ومنهم من أثبتها، وكلاهما استخدما مصطلح الترادف بالمعنى الشائع.

وعند التحقيق، والدراسة لظاهرة الترادف، وصلنا إلى أن الترادف ظاهرة علمية يقوم الواقع عليها، وكون اللسان هو انعكاس فكري تفاعلي مع الواقع، وُجدت ظاهرة الترادف في اللسان العربي كصورة صوتية، ووظيفية للواقع.

إن الواقع هو مجموعة من المنظومات، التي تتبع في النهاية المنظومة العامة الكونية الكبرى، نحو المنظومة الشمسية، فالكواكب فيها مترادفة مع بعضها، بمعنى؛ أنه يوجد علاقة ونظام يجمعهم

جميعاً لتأدية وظيفة كلية؛ مع وجود ذاتي لكل كوكب، وعدم انتفاء ماهيته.

فالترادف، هو من ردف الشيء بالشيء. إذا ألحقته به لاشتراكهما بشيء واحد. وهذا الاشتراك؛ لا ينفي الاختلاف بينهما في الوقت ذاته. ***فالترادف للأشياء لا ينفي ماهيتها، فالأرض غير المريخ، وغير الزهرة، وعطارد.***

وكذلك في اللسان العربي يوجد منظومات، وكل منظومة قائمة على الترادف بين كلماتها؛ مع الحفاظ على الاختلاف، والتباين فيما بينها.

انظروا مثلاً إلى هذه المنظومة اللسانية:

كل كلمة تبدأ بحرفي **القاف والطاء** تدل في عمومها على الفصل والتفريق للشيء نحو: قَطَمَ، قطع، قطر، قطب، قطل، قطف...الخ.

فكل هذه الكلمات لا تخرج عن دلالة الفصل والتفريق والصرم، فهي مترادفة من هذا الوجه، أي تابعة لمنظومة واحدة، ولكن لكل واحدة منها صورة وإسقاط على الواقع مختلفة عن الأخرى، وهذا التباين والاختلاف كان نتيجة الحرف الثالث الذي أضيف للكلمة، فدلالة كلمة (قطع)، غير دلالة كلمة (قطم)، أو (قطف).

وانظروا أيضاً لهذه المنظومة اللسانية:

كل كلمة تبدأ بحرف **الغين** تدل في أصلها وعمومها، على الغياب، نحو: غاص، غطس، غاب، غامق، غبي، غرق، غفل، غرور....الخ.

هذا وجه للترادف في المنظومة اللسانية الواحدة، ويوجد ترادف أيضاً بين ألفاظ من منظومتين مختلفتين نحو (جاء وأتى، وحضر وقَدِمَ)، (وأراد وشاء)، (وذهب وخرج، وعبر، وولج، وخرق)...الخ، والعلاقة بين هذه الكلمات علاقة خصوص وعموم.

إذاً؛ الترادف كظاهرة علمية واقعية موجودة في اللسان العربي، ولكن ليس بالمعنى الشائع، وإنما بالمفهوم العلمي الذي ذكرناه، ومفاده:

(إن اختلاف الألفاظ يؤدي إلى اختلاف المعاني قطعاً، وأي زيادة في المبنى على صعيد الكلمة أو الجملة إنما هو زيادة في المعنى).

وبناء على ما ذكرت من مفهوم الترادف؛ نأتي الآن إلى بيان الفروقات بين الكلمات المستخدمة في هذه المحاضرة، لضبط الموضوع، وسهولة فهمه، وهذه الكلمات هي: **بعث وأرسل، والنبي والرسول، والسنة والحديث**.

الفرق بين بعث وأرسل

- **بعث** : كلمة تدل على الإثارة والتحريك .
- **أرسل** : من رسل كلمة تدل عل الامتداد .

فالملاحظ؛ وجود علاقة بين كلمة بعث، وأرسل، وذلك من أن فعل الإرسال لا يمكن أن يتم في الواقع إلا بعد فعل البعث، لأن الإرسال لا بد له من الإثارة والتحريك أولاً، فإن أردنا أن نرسل إنساناً إلى مكان معين لا بد من بعثه أولاً، بمعنى إثارته وتحريكه، وإلاّ لا يتم فعل الإرسال له إن بقي ساكناً ثابتاً، والموتى يبعثهم الله يوم القيامة، ولكن لا يرسلهم.

الفرق بين النبي والرسول

نبي: مفرد نبييّن : اسم فاعل وهو متعدي وأفادت دلالة الياء الجهد الممتد زمانياً، وهو من الفعل الثلاثي **(نبا) التي تدل على ستر وجمع مستقر منته بامتداد وإثارة في الزمان والمكان**، ومن هذا الوجه قال المفسرون: إن كلمة نبي تدل على الرجل الذي يرفع الناس ويسمو بهم إلى الله، فهو مثل الطريق الممتد زمانياً ومكانياً.

فالنبي؛ هو رجل بعثه الله في قومه، واختاره لمقام النبوة، وأوحى إليه بهذا التكليف، والتشريف، ليقوم بعملية الدعوة، والتعليم لمجتمعه مستخدماً الشرع السابق، الذي نزل على الرسول النبي. **فالنبي هو تابع للرسول النبي السابق، يدعو إلى شرعه، نحو أنبياء بني إسرائيل.**

- كلمة رسول ورسالة من رسل: التي تدل على تكرار حركة حرة تنته بحركة لازمة، وظهر هذا المفهوم بفعل أرسل الذي هو امتداد في الحركة وانتقالها من إلى.

واسم الفاعل هو (مُرْسِل) من الفعل الرباعي أرسل، والشيء الذي ينتقل من المُرْسِل إلى المُرْسَل إليه يُسمى رسالة أو رسولاً على المصدر، لأن القيمة الحقيقية للرسالة فهي التي تنتقل، ويمكن أن تنتقل بعدة وسائل، منها على سبيل المثال، الحمام الزاجل، فيكون الحمام رسولاً من هذا الباب، ويمكن أن تنتقل الرسالة خلال جهاز الكتروني (النت) فتكون الرسالة ذاتها هي رسول توصل الخبر بذاتها، ويمكن أن تنتقل عن طريق إنسان فيكون بذلك رسولاً أي هو والرسالة اندمجا معاً، إذاً تكون الأدوات أو الوسائل رسل طالما أنهم يحملون رسالة، فإن انتفى عنهم حمل الرسالة، أو أوصلوا مضمونها إلى المُرْسَل إليه ينتقل اسم الرسول إلى الرسالة ذاتها لأنها هي المعنية في الإرسال وتصير رسولاً بالنسبة للمُرْسَل إليه، وينبغي الانتباه إلى أن الرسول النبي كان له دوراً في حياته متعلقاً بقيادة الأمة وتعليمها، وتوقف ذلك بوفاته.

فكلمة (رسول) لها متعلقان في الواقع:

- أحدهما: الأصل؛ وهي الرسالة ذاتها.
- الآخر: الفرع؛ وهي الوسيلة أو الأداة التي حملت الرسالة.

وفي حال انفصال الأداة أو الوسيلة عن الرسالة، يزول اسم الرسول عنها، وتنفرد الرسالة باسم الرسول، وخاصة إن كانت مستمرة تخاطب الأجيال، فهي رسول إليهم كونها تنتقل من جيل إلى آخر، ويُعرف المقصد من استخدام كلمة الرسول في النص أهي الرسالة فقط، أم حامل الرسالة، أم كلاهما من خلال سياق الخطاب وإسقاطه على محله من الواقع.

نلاحظ أن فعل بعث متعلق بالنبي، وفعل أرسل متعلق بالرسول، وفعل بعث أساس لفعل أرسل، فالنبوة أساس للرسالة، وكل نبي رسول ؛ ولا عكس.

وينبغي التطرق لمسألة هامة، حتى لا يقع القارئ في لبس، وحيرة من خلال تلاوة الآيات القرآنية، التي تناولت الأنبياء؛ ووصفتهم بمقام الرسالة ، نحو قوله تعالى:

1- **{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ }** (المائدة 70)

2- **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ }** (البقرة87)

فسياق الآيات يدل ظاهرها على أن النبي هو رسول، والرسول هو نبي من حيث الدلالة، ويمكن أن يصيبهم القتل، وبالتالي لا فرق بين النبي، والرسول من حيث الأحكام المتعلقة بهم. والواقع أن هنالك فرق، وسوف نلاحظ ذلك من خلال نبوة موسى، وهارون.

قال تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً } (مريم 53)

وقال:**{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ }{وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ }** (الشعراء12-13)

وقال: **{فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** (الشعراء 16)

فهارون هو نبي، وفي الوقت ذاته أرسله الله عز وجل مع موسى إلى فرعون، وجعله وزيراً لموسى يؤازره، فصار رسولاً أيضاً، فما الفرق بينه، وبين موسى إذا كان كلاهما نبياً، ورسولاً ؟ ***الفرق بينهما يكمن في أن موسى نزل عليه رسالة، بينما هارون لم ينزل عليه رسالة، وإنما هو تابع لرسالة موسى يدعو إليها، لذلك تم وصف***

هارون من حيث الوظيفة بمقام الوزارة. قال تعالى: **{وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي }** (طه29)

فالنبي في مقام العالم المؤهل لقيادة الناس والعناية بهم، والصلة بينه وبين الله مستمرة لا تنقطع عن طريق الوحي، فيمكن أن يوحى إليه بعض الأوامر المتعلقة بقومه لحل مشاكلهم وإخبارهم ببعض الأمور لتقوية إيمانهم، ولكن لا ينزل عليه رسالة تشريعية، وإنما هو تابع لرسول سبقه صاحب رسالة، كما هو الحال في أنبياء بني إسرائيل، فكلهم تابعين لرسالة موسى، لم ينزل عليهم أي تشريعات وإنما نزل عليهم أوامر وتعليمات ليقوموا باستخدامها في عملية الإرشاد والهداية، والتوجيه لرسالة موسى، فكانوا بذلك العمل قد تحقق بهم صفة الإرسال من الله لهم للناس، فصاروا بذلك مرسلين، ولكن دون رسالة تشريعية، إلا النبي عيس عليه السلام، فقد صار بمقام الرسول صاحب الرسالة، وأخذ حكمهم من حيث الحفظ والعصمة عن القتل.

ومن هذا الوجه كان النبي رسولاً، والرسول نبياً، لأن القيمة الحقيقية والثمرة للنبوة إنما هو للرسالة. فإن انتفت الرسالة من حيث النزول، أو الدعوة إليها، تفرغ مقام النبوة من مضمونه، ومثل ذلك كمثل العالم العامل بعلمه دعوة وتعليماً، والعالم الساكت عن علمه والكاتم له لا يفيد به أحداً، فهو بذلك صار من حيث النتيجة مثله مثل الذي لا يعلم تماماً.

إذاً؛ وظيفة الرسالة متحققة بالنبي، الذي نزل عليه رسالة جديدة، فصار بها رسولاً يدعو إليها، ومتحققة بالنبي الذي لم ينزل عليه

رسالة مثل هارون من خلال دعوته للرسالة التي نزلت على أخيه، فصار كلاهما رسول رب العالمين، والقرآن استخدم هذه التعريفات والتفريقات بين النبي والرسول، فأعطى لكلاهما صفة الإرسال، ووصفهما بمقام الرسول، وفي الوقت ذاته فرق بينهما، **إذ جعل الرسول صاحب الرسالة معصوم عن القتل لإتمام رسالته،** ***بينما الرسول التابع جاز عليه القتل، وقد حصل في الواقع، فصار اصطلاحاً أن الرسول التابع هو نبي، والنبي صاحب الرسالة هو رسول، ومن هذا الوجه ظهرت المقولة التي تقول: كل نبي رسول ولا عكس، رغم أن كلاهما رسول من حيث الإرسال لهما من قبل الله للناس، وكلاهما مأمورين بالدعوة والتعليم والتبليغ.***

قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }** (الحج 52)

فتكون وظيفة النبي هي: الدعوة والتعليم والقيادة للناس، كون النبوة مقام علمي، ويكون بذلك رسولاً تابعاً.

أما وظيفة الرسول فهي: التلاوة والتبليغ لما أنزل الله عليه من أوامر تشريعية، فهو صاحب رسالة، إضافة لمقام النبوة.

قال تعالى: {وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (العنكبوت 18)

وقال: **{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**

وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (الأنعام 151)

وينبغي الانتباه إلى أن النبوة لم تنف الصفة البشرية عن النبي، وإنما أضافت له مقاماً علمياً، وعندما صار النبي رسولاً، لم ينتف عنه صفة البشرية، ووظيفة النبوة، وإنما أضيف له مقام الرسالة، مع الحفاظ على الصفات البشرية، والنبوية، قال تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }** (الكهف110)

كل نبي رسول، هو إنسان ولا عكس.

الاجتهاد وظيفة النبي لا الرسول

وكون النبوة مقام علمي، والأنبياء سادة العلماء، فصفة الاجتهاد لهم أولى من العلماء، ***فالنبي أحق بالاجتهاد من العالم قطعاً***، وإلاَّ صار العالم المجتهد أفضل من النبي إن سُلِبَ حق الاجتهاد منه.

فالنبي يقوم بالاجتهاد في عملية الدعوة، والتعليم، والاستنباط للأحكام والمعلومات من الرسالة السابقة، أما إذا كان هو رسولاً، فيستخدم الرسالة التي نزلت عليه**{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً }** (النساء105)

مفهوم العصمة

أما بالنسبة لمفهوم **العصمة الربانية**، فالأنبياء ليس لهم أي عصمة من ذلك، فهم معرضون للقتل كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل، وكذلك لكل الصفات الإنسانية من حيث الخطأ والنسيان، والكذب، والوقوع في المعصية، وذلك لأنهم يملكون إرادة حرة، والذي يملك إرادة حرة أفضل من مسلوب الإرادة، ومسير في سلوكه. ***والنبي كونه عالماً بالله عز وجل، فهو يعصم نفسه عن الكذب والمعاصي***

والفواحش، عصمة إرادية، نابعة من إيمانه بالله عز وجل. لذلك كان الأنبياء أفضل الناس وأعظمهم شأناً، ويأتي بعدهم العلماء.

قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }** (فاطر28).

وهذه العصمة الإرادية مطلوب من الناس جميعاً أن تتحقق بهم.

قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }** (آل عمران103)

أما العصمة بالنسبة للرسول (صاحب الرسالة) فهي على وجهين:

الأول: عصمة من القتل، وذلك لإتمام رسالته، **وفي الحقيقة، العصمة موجهة إلى الرسالة وليس إلى شخص الرسول**، فكل رسول معصوم من القتل، نحو الرسل أولي العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله عليهم. بخلاف الأنبياء، فيجوز عليهم القتل، مثلهم؛ مثل سائر البشر، كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل.

الثاني: العصمة في عملية التلاوة لنص الرسالة، وهذا يقتضي حفظ النص في ذاكرة الرسول، وحفظ النطق في لسانه، حتى لا يتم أي خطأ في عملية التبليغ، ويقتضي ذلك عصمته من أي عارض يؤثر على عملية تبليغه للرسالة، أو القدح فيها، نحو، الأمراض الجلدية المنفرة، أو الأمراض النفسية، من هذيان وهلوسة، وسحر، وما شابه ذلك.

فالرسول إذا فرغ من تلاوة الرسالة، وعملية التبليغ، ينتهي دوره كرسول، ويبدأ دوره كنبي يقوم بالتفاعل مع الرسالة التي أنزلها الله، كونه أول المكلفين بها عملاً، ويدعو الناس إليها، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

مقام النبوة متعلق بحياة النبي

النبوة الإلهية مقام اصطفاء ، وليس اكتسابياً، وهو مقام علم ودعوة وقيادة للناس، ويجوز على النبي ما يجوز على الإنسان تماماً، وعصمته إرادية ليست ربانية، ويملك حق الاجتهاد كونه عالماً.

الرسول الإلهي: مقام تكليف لتوصيل رسالة الله إلى الناس، ليس له من الأمر إلاّ التلاوة والتبليغ، وبالتالي لا يحق له الاجتهاد في نص الرسالة كمبنى، وهو معصوم في حفظه ونطقه للرسالة، إضافة إلى عصمته من القتل لإتمام رسالته. وهذا التفريق بين مقام النبوة، ومقام الرسالة يوصلنا إلى **أن مقام النبوة مرتبط بشخص النبي نفسه ، وبالتالي يفقد مقام النبوة فاعليته بموت النبي مثل النبي هارون، بينما مقام الرسول صاحب الرسالة مرتبط بالرسالة، فإن مات الرسول لا تتأثر الرسالة لاستمرار وجودها وفصلها عن شخص الرسول. مثل الرسول موسى والصحف التي نزلت عليه.**

فيكون المجتمع الأول الذي عاصر نزول الرسالة علاقته مع مقام النبوة، ومقام الرسول معاً. **أما المجتمعات اللاحقة فعلاقتها مع الرسالة فقط دون النبوة، لموت صاحبها، فالنبوة خاصة، ومرتبطة بالزمكان، أما الرسالة فهي عامة مستمرة بعد موت النبي صاحب الرسالة.**

ومن هذا الوجه صح الحديث الذي ورد عن النبي الذي يقول : ***(أطيعوني ماذُمت فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله وحرموا حرامه)*** مسند أحمد 6381/ وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم 1472

وبناء على ذلك التفريق نستطيع أن نقول:

(إن نبوة محمد لقومه، ورسالته للناس جميعاً)

كما أخبر الله عز وجل بقوله: **{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }** (الأعراف 158)، أما عملية البعث فكانت في قومه، ولهم.

قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }** (الجمعة 2) ***فعملية البعث والإرسال، أي النبوة والرسالة معاً، كانت لقوم النبي، ومن عاصره، أما بعد موته، فقد توقفت فاعلية مقام النبوة ، واستمر مقام الرسول الذي تَمَثَّلَ في الرسالة ذاتها، فكانت الرسالة للناس جميعاً دون النبوة، وهذا ما هو حاصل في الواقع من حيث انتشار الرسالة الممثلة بالقرآن على الناس جميعاً، بخلاف حديث النبي فهو محل نقاش وقَبُول ورفض، واختلاف بين المسلمين*** .

اكتمال الدين يقتضي ختم النبوة

وعندما تم اكتمال نزول الدين الإسلامي الذي بدأ في عهد نوح عليه السلام، مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى، وانتهاء بمحمد صلوات الله عليهم جميعاً، اقتضى ختم النبوة لانتفاء الحاجة لوجود الأنبياء، واستمرت الرسالة الكاملة الخاتمة يحملها العلماء، ويقومون بدور الأنبياء، كل في زمانهم، وحسب أدواتهم المعرفية، واحتياجاتهم،

يعلمون الناس ويدعونهم إلى الحق والعدل، ويقومون بعملية الاستنباط مـن الرسـالة لإيجـاد علاجـات، وأحكـام للمـستجدات فـي الحيـاة الاجتماعية، وقد جعل الله عز وجل مقياساً وقانوناً يُغَربل ويُصفي هذا التراكم الفكري الإنساني الهائل، الذي يَعلق بالرسالة مع مرور الزمن، وهو قوله تعالى: **{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ }** (الرعد17)

فالأفكار تموت من تلقاء نفسها عندما تفقد فاعليتها دون نقاش، أو حوار، أو جدال من أحد، والواقع شاهد على ما أقول، فمن ينـاقش الآن حكم الرسم، أو التصوير للكائنـات الحيـة، ومـا شـابه ذلـك مـن أفكار**!؟** رغم أن المحرِّمين لها لم يغيروا رأيهم **! ولكن الأفكار ماتت لعدم جدواها في الواقع**، وهم أحرار في استمرارهم بحمل هذه الأفكار الميتة المرفوضة من أبنائهم قبل غيرهم من الناس.

مفهوم السنة

السنة: فهي من سن، التي تدل على جريان الشيء واطراده بسهولة، وكلمة جريان الشيء؛ تقتضي الاستمرار، التي بدورها تقتضي التكرار**{اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً }** (فاطر43) فسنة الله، هي الطريقة

التي استخدمها في عملية الخلق، وأعطاها صفة الثبات من جراء استمرارها، وتكرارها في كل عملية خلق.
فالماء، كلما تعرض للحرارة يتبخر، هذه سنة الله في الماء لا تتغير أو تتبدل.
وإذا أضيفت كلمة سنة للإنسان، فيقصد بها نمط حياته العملي الثابت عليه استمراراً وتكراراً، لا يتخلف أبداً عن فعله.
والتزام الإنسان بسنة معينة في حياته الاجتماعية، يقتضي ذلك عملية الإشهار له بين الناس، وهذا الإشهار يزداد يوماً بعد يوم، ***وتتوسع دائرة التواتر لهذه السنة ، كلما مضى عليها زمن، ويختفي السند،*** بمعنى أنه لا يمكن تحديد الرواة لها، وهذا معنى التواتر، الذي هو ما رواه، أو ما نقله جماعة عن جماعة يستحيل عقلاً تواطؤهم على الكذب. نحو تواتر النص القرآني، فهو لا سند له معروف أو محدد، بمعنى أنه لا يوجد لكل سورة منه سلسلة من الرواة معروفين، فهو نص متواتر إنسانياً، ثابت، ومُوثق من قِبَلْ كل مجتمع تعامل معه إلى يومنا المعاصر. (ظاهرة اجتماعية) .
وينبغي العلم أن التواتر هو أداة معرفية يتعلق بحصول الحدث فقط، وليس هو أداة علمية يتناول دراسة الحدث أو الحكم عليه، لذا؛ التواتر يفيد حصول الحدث، ولا يفيد كيفية حصول الحدث.

مفهوم الحديث

كلمة الحديث: فهي كلمة تدل على حصول الشيء بعد أن لم يكن، وسُمي الكلام حديثاً، لأنه يحصل بصورة جديدة تباعاً، كلمة تلو أخرى.

قال تعالى: {اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً } (النساء87)

فالحديث لا يشترط له التواتر والثبات، والاستمرار؛ بل يغلب عليه الظن، وهو يخضع لعملية الصدق، والكذب، والخطأ، وذلك متعلق

بمضمونه كمتن، ورواته كسند، ويستثنى من ذلك النص القرآني، لأنه تحول إلى حدث اجتماعي عظيم منذ بدء نزوله، فهو حديث الله عز وجل الصادق المطابق للواقع، وقد تم حفظه بصورة التواتر له في المجتمعات الإنسانية، أما سوى حديث الله، فهو أمر متروك حفظه للناس، سواء أكان حديث الأنبياء، أم غيرهم، ويجري عليه الصدق والكذب، والخطأ والتحريف، كما هو معلوم في الحياة الاجتماعية والثقافية.

إذاً، مدلول السنة غير مدلول الحديث، فينبغي التفريق بينهما في التعامل، والاستخدام، **والالتزام بدلالتهما اللسانية، وعدم الخلط بينهما**.

ومن خلال تتبع الآيات القرآنية نشاهد أن كلمة (**السنة والحديث**) لم يتم استخدامهما إلاّ بدلالتهما اللسانية، أي لم يتم حصر دلالتهما بصورة معينة مثل كلمة ، الصلاة، والصيام، والحج، التي صارت اصطلاحات شرعية، إضافة لدلالتها اللسانية.

وبالتالي، فنحن غير ملزمين بمصطلحات القوم، التي وضعوها، وهي غير حجة علينا، وهذه التعاريف وضعها القوم، كل حسب اختصاصه وتوجهه.

- فقال **علماء الأصول**: السنة هي ما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً يستنبط منه حكماً.

-وقال **علماء الفقه:** السنة هي ما يُندب فعله ويثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

- وقال **علماء الحديث:** السنة هي مجموعة الأقوال والأعمال والإقرارات وما همَّ به النبي، وصفاته الخَلْقِيّة، والخُلُقِيّة، وأخبار غزواته وحياته الاجتماعية.

- وقال **علماء الشيعة الإمامية:** السنة هي قول وفعل وإقرار النبي والإمام المعصوم.

إلى غير ذلك من التعاريف الموجودة في التراث الإسلامي.

وعلماء الأصول عندما يذكرون مصادر التشريع يقولون:

القرآن والسنة، والإجماع، والقياس. فيستخدمون كلمة السنة، ولكن حين التطبيق والدراسة **يحل محلها مادة الحديث النبوي كمصدر شرعي عوضاً عن السنة**، وهذه العملية من العلماء، **هي تدليس وتحريف، وخلط ما بين السنة، والحديث، لتمرير ما يريدون من أفكار تخدم السلطة الاستبدادية، وتكرس الاستعباد!.**

سنة النبي

ماذا يُقصد بسنة النبي ؟

سنة النبي: هي الطريقة المنهجية التي استخدمها في التعامل مع الرسالة الإلهية لإسقاطها على واقعه، وهي ما أطلق الله عليها صفة الحكمة.

وهذه الطريقة موجودة في فحوى الرسالة، فكل من يقرأ الرسالة الإلهية يستطيع أن يصل إلى هذه المنهجية (سنة النبوة)

قال تعالى: **{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ }** (البقرة129)

ومن خلال تفاعل النبي مع الرسالة، والواقع مستخدماً الحكمة، جرى على لسانه الأحاديث المتعلقة بفهمه للرسالة، والواقع، **وهذه الأحاديث هي من تأليف النبي، وفهمه للرسالة، وليست وحياً أبداً، ولم يتعهد الله بحفظها لأنها مرتبطة بشخص النبي، وبزمانه ومكانه، والنبوة كما ذكرت هي خاصة في الزمان والمكان، والمجتمع،** بخلاف الرسالة فهي عامة وصالحة لكل زمان ومكان . **فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.**

وواقع مادة الحديث النبوي شاهد على ما أقول من كونها مادة لم يُرِدْ الله حفظها ابتداء، انظر إلى هذه الإشكالات على سبيل المثال:

أ -لقد تم اختراق مادة الحديث النبوي زيادة كما هو مشاهد في كتب الحديث.

ب -لقد تم اختراق مادة الحديث النبوي نقصاناً، وهذا ثابت عقلاً، ونقلاً.

أما ثبوته عقلاً، فهو من ثبوت الزيادة، والزائد أخو الناقص، والأمر الذي يزيد؛ ينقص.

أما نقلاً، فمن خلال إهمال وإغفال رواية معظم أحاديث العهد المكي لمدة ثلاثة عشر عاماً، وإهمال رواية بضع مئات من خطبِ الجمعة التي خطبها النبي نفسه **!.**

ت-وجود تعارض وتناقض في الروايات بصورة مذهلة **!.**

ث-وجود روايات تنهى صراحة عن كتابة غير القرآن نحو قول النبي **(من كتب عني غير القرآن فليمحه).**

ج-عدم اهتمام كبار الصحابة برواية الحديث أو حفظه **!!** وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين الأربعة، مع العلم أنهم من حفظة القرآن، وقد اهتموا جداً بالنص القرآني كما هو معلوم من جمع المصحف في زمن أبو بكر، وتوحيد التلاوات في زمن عثمان.

ح- ورد عن النبي مجموعة من الروايات التي تؤكد على أن المصدر الإلهي الوحيد للتشريع هو القرآن نحو:

أ-قال النبي: [أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يُوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن أولهما **كتابُ الله** ، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به **ـوحث على كتاب الله ورغب فيه ـ** ثم قال: وأهل بيتي أُذكرُكم الله في أهل بيتي. وكررها ثلاث مرات]. أخرجه مسلم برقم 4425/وأحمد.

ب-قال النبي:[إن أُمِّرَ عليكم عبد مجدع ـقال الراوي حسبتها قالت أسود ـ يقودكم **بكتاب الله تعالى فاسمعوا وأطيعوا**] مسلم 3422

ت-قال النبي:[**الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**] ابن ماجه 3358/ الدار قطني والحاكم والبيهقي و البزار و الطبراني.

ث-قال النبي:[**أطيعوني مادمت فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله وحرموا حرامه**] مسند أحمد 6381/ وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم 1472

ج-قال النبي: [تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما **كتاب الله وسنتي**].

وما ذكرته إنما على سبيل الاستئناس، وليس على سبيل البرهان، فأنا أعلم أن كل مسألة من هذه المسائل يمكن أن يوجد لها عُبَّاد الأسانيد تلفيقة معينة ليبرروا هذه الأمور، ويستمروا في استعباد الناس.

الحديث النبوي ليس تشريعاً إلهياً ثابتاً

لو افترضنا على سبيل المثال أن الأحاديث النبوية قد وصلت إلينا كلها دون زيادة أو نقصان، أو تحريف، وتم التأكد من صواب نسبتها إلى النبي بصورة موثقة إلى درجة اليقين، هل تصير هذه المادة الحديثية وحي إلهي تشريعي ملزمين بها ؟!

والجواب: لا، ليس وحياً، وغير ملزمين بها. لأن مادة الحديث النبوي هي من تأليف النبي وتفاعله مع الرسالة الإلهية. فحديث الله (القرآن)، غير حديث النبي، والعلماء فرقوا بينهما بالتعريف فقالوا: الحديث النبوي هو المعنى من الله، واللفظ من النبي. أما القرآن فصياغته اللسانية، كمبنى من الله عز وجل، **وإذا تمعنا بتعريف العلماء للحديث النبوي نصل إلى أن الله عز وجل أنزل وحياً بالمعنى دون المبنى على النبي.** وهذا الكلام هُراء لا قيمة له، **وذلك لأن المعاني مرتبطة بالمباني، والمباني هي أوعية لحمل المعاني لا يفترقان أبداً،** وبالتالي، لا يمكن أن يتم نقل معنى لإنسان دون مبنى يحمل هذا المعنى. والوجه الآخر لبطلان هذه المقولة، **أن الإنسان لا يفكر إلا ضمن لسان يكون حاملاً ووسيطاً لفكره،** فإذا انتفى اللسان انتفى التفكير، وبالتالي، لا يمكن أن تجعل إنساناً لا يملك لساناً (لغة) أن يقوم بعملية التفكير، أو أن تتواصل معه فكرياً، **هكذا خلق الله الإنسان، لا يفكر إلا ضمن لسان، والتفكير غير التعقل الذي لا يتجاوز عملية الفهم، والتفاعل مع الواقع بصورة مباشرة، وهذا لا يحتاج إلى لسان (لغة) ليحصل، مثل الشعور بالحب أو الحزن، أو**

الخوف ، فإذا أراد الخالق من الإنسان شيئاً تكلم معه بلسانه، والعجز والمحدودية في الإنسان، وليس في الخالق. وإذا ثبت أن مبنى الحديث من النبي كإنسان، وهذا ثابت في واقع الحال باعترافهم، ثبت ضرورة أن المعنى من النبي متلازم مع المبنى لا يفترقان. **فمادة الحديث النبوي هي أمر مرتبط بشخص النبي وتفاعله الزمكاني مع الرسالة الإلهية، وليست هي وحياً، وليست هي مصدراً تشريعياً، وإنما هي مادة تاريخية عظيمة، إنها التفاعل الأول مع الرسالة الإلهية الكاملة.**

وخطاب الله عز وجل موجه إلى الناس جميعاً، ونحن من الناس المعنيون بهذا الخطاب، فلماذا نهمش أنفسنا ونخرجها من الخطاب الإلهي:

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (الأعراف 158)

والأمر بإقامة الصلاة كتشريع وجوب، ومقومات الركعة الواحدة (قيام وركوع وسجود) ، والحد الأدنى للصلاة كركعتين، وتحديد الأوقات الخمسة،كل ذلك نزل في النص القرآني، أما عدد الركعات للصلاة التي أكثر من ركعتين فقد أتت من الوحي العملي مباشرة، ووصلت إلينا عن طريق السنة ، أي توزيع عدد ركعات الصلاة في اليوم والليلة.

فتلازم أمر الله بإقامة الصلاة**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ**

عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }المائدة6 مع سنة الرسول ***(صلوا كما رأيتموني أصلي)*** فالصلاة مبنية على عملية الرؤية ، وليس على الأحاديث .

لذا؛ كانت الصلاة بصورتها العملية متواترة في المجتمعات الإسلامية، ولا منيّة لأحد في وصولها إلينا **!**، ولا يوجد اختلاف بين المسلمين في صورتها من قيام وركوع وسجود، والاختلاف بين المسلمين إنما هو في الجزئيات المتعلقة بالصلاة، وهذه الأمور هي من مادة الحديث النبوي، وليست وحياً،مثلاً، عندما نزلت آية **{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ }** (الواقعة74). قال النبي: اجعلوها في ركوعكم، وعندما نزلت آية **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى }** (الأعلى1)، قال: اجعلوها في سجودكم.

فهذه الأدعية والأذكار هي اختيار نبوي لأمته، الأَوْلى الالتزام بها مع صواب الصلاة بغيرها من الأدعية والأذكار القرآنية التي يتأولها الإنسان كمضمون.

وكذلك طقوس ومناسك الحج ، اقرأ قوله تعالى : **{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }** (البقرة128)، وقول النبي : **(خذوا عني مناسككم).**

حديث الرسول هو القرآن ذاته

أما بالنسبة لحديث الرسول فهو مادة غير موجودة، وما ينبغي أن يكون له حديثاً كرسول، ولو حَدَّثَ من عنده، ونسب ذلك إلى الله لتم إعدامه فوراً.

قال تعالى: **{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ }{لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ }{ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ }** (الحاقة 44-46)

فمادة الحديث النبوي حصراً مرتبطة بمقام النبوة دون مقام الرسالة، أما حديث الرسول فهو حديث الله ذاته القرآن{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } (الزمر23)**.**

نقاش مجموعة من الآيات

وحان الوقت الآن لعرض مجموعة من الآيات المتعلقة بموضوعنا، وأظن أن كثيراً من الأخوة الحضور قد عرضت لهم في أذهانهم أثناء المحاضرة، وبإلحاح شديد، ولكن قبل ذلك ينبغي استصحاب الفرق بين النبي، والرسول، لأن الخطاب القرآني يفرق بينهما، وهذا التفريق كان نتيجة الفرق الواقعي بينهما من كون **مقام النبوة خاص شخصي مرتبط بالزمكان، ومقام الرسول عام لارتباطه بالرسالة .**

والمجتمعات اللاحقة ملزمة بالرسالة، وليس بالنبوة، لانتفائها وموت صاحبها.

إن دراسة النص القرآني لا تكون من خلال اقتطاع جملة أو جزء من نص كامل، وبناء المفهوم على ذلك نحو جملة**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ }** (الماعون4)، وجملة**{ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ }** (النساء3)، وجملة **{ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ }** (النساء34)، **بل لا بد من قراءة النص كاملاً ضمن سياقه، وربطه مع منظومته التي ينتمي إليها، ومن ثم القيام بعملية الترتيب الأولوي للنصوص للوصول للمقصد والحكم.**

أطيعوا الله والرسول

وعند التقصي، والبحث في النصوص القرآنية، وجدنا نصين يمكن أن يكونا محور، وقاعدة للبحث وهما:

1-**{قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ }** (آل عمران 32)

2- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }** (النساء 59)

وعلماء التفسير لم يفرقوا بين وجود فعل طاعة واحد مشترك لله والرسول في النص الأول، وتكرار فعل الطاعة وفصله للرسول، وعطف عليه أولي الأمر في النص الثاني، وأعطوا لمفهوم الطاعة للرسول في النصين معنى واحد.

وهذا العمل منهم خطأ فاحش، لأن أي زيادة في المبنى إنما هي زيادة في المعنى، ووجود هذه الكلمة مكررة دون معنى زائد، هو حشو، ولغو منزه عنه النص القرآني.

إذاً ينبغي أن يكون اختلاف في المعنى بين الآيتين.

فلو قال قائل: **<u>سافر</u>** زيد وعمرو إلى دمشق .

نفهم من ذلك أن سفر زيد وعمرو مشترك مع بعضهما في وقت واحد.

بينما لو قال: **<u>سافر</u>** زيد و**<u>سافر</u>** عمرو إلى دمشق.

لفهمنا أن سفر كل منهما مستقل عن الآخر، ومنفصلين.

فنصل من خلال هذا الشرح إلى أن طاعة الرسول في القرآن هي نوعين:

الأول: طاعة متصلة بطاعة الله-{قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } (آل عمران 32)

الثاني: طاعة منفصلة عن طاعة الله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } (النساء 59)

والطاعة المتصلة هي طاعة في أصلها لله عز وجل، وذُكر الرسول معه متصلاً، لأن طاعة الله لا يمكن أن تتم إلا من خلال طاعة الرسول فيما يتلو علينا من أوامر الرب، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ **(الأنعام 151).**

بينما الطاعة المنفصلة أتت بعد فعل الطاعة لله عز وجل في أوامره الشرعية، وبعد الانتهاء من ذلك جاء الأمر مستقلاً بطاعة الرسول ، وعُطف عليه مباشرة أولي الأمر دون تكرار فعل الطاعة لهم، وذلك يدل على أن فعل الطاعة مستمر من الرسول إلى أولي الأمر، **وهذا يدل على أن مادة الطاعة لهم غير متعلقة بالدين من حرام وحلال وواجب، لأن ذلك داخل في فعل الطاعة لله الأول.**

إذاً؛ طاعة الرسول وأولي الأمر في النص، يقصد بها الدائرة التي هي خارج عن دائرة الدين، وليس هي إلا دائرة المباح، فتكون طاعة الرسول كنبي وقائد اجتماعي يأمر وينهى وينظم العلاقات ضمن دائرة المباح.

قال تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّـهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(الحشر7)

وواضح من سياق النص أن فعل **(آتاكم، ونهاكم)** أمران متعلقان بتوزيع الغنائم، لذلك فسر العلماء فعل (آتاكم) بمعنى أعطاكم، فهو أمر سياسي اجتماعي من صلاحية الحاكم ضمن دائرة المباح.

ومن الخطأ الفاحش اقتطاع جملة من النص وهي ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ **وبناء مفاهيم مسبقة عليها كما هو سائد في التراث الإسلامي، وخاصة التيار السلفي. رغم أن هذه الجملة تدل على ما ذكرت سابقاً، لو عرفتم الفرق بين دلالة كلمة (أتى) وكلمة (جاء).**

فكلمة الرسول في النص يقصد بها مقام النبوة، وليس مقام الرسالة.

ويمكن أن يأتي الخطاب صريحاً مستخدماً كلمة النبي. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }**﴿(التحريم1)

الخطاب المتعلق بالنبي للتوجيه والتعليم ، لا للتشريع

إن كل خطاب موجه إلى النبي صراحة أو ضمناً، هو خطاب تعليمي، وتوجيهي للأحسن والأفضل، والحل الأمثل للظرف الراهن، وليس تشريعاً. أما الخطاب الذي يبدأ بفعل **(قل)** فينبغي معرفة المقصد من خلال فحوى النص، فإن كان النص متعلقاً بأحكام نحو**{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }** (البقرة222).

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } (الأنفال1)

فالمخاطب بفعل **(قل)** هو الرسول.

وإن كان فحوى النص توجيهي وتعليمي نحو:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } (الإخلاص1) {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (الناس1) ، **{قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ }** (الزمر64) فيكون المخاطب بفعل **(قل)** هو النبي.

وإن جاء الخطاب مستخدماً كلمة الرسول، فدلالة النص إن كانت متعلقة بأحكام، أو بطاعة متصلة مع طاعة الله، فيكون المقصود هو خطاب مقام الرسالة.

أما إذا كان متعلقاً بتوجيهات، وتعليمات، أو تكرر بعد فعل الطاعة لله، فالمقصد هو مقام النبوة.

إذاً؛ استطعنا أن نصل إلى التفريق في الخطابات الإلهية المتعلقة بالرسول، والنبي، وذلك من خلال إقامة جدول نقسمه إلى قسمين، ونضع عنوان للأول الطاعة المتصلة، ونكتب تحته مقام الرسالة . والثاني : الطاعة المنفصلة، ونكتب تحته مقام النبوة وأولي الأمر.

طاعة متصلة (مقام الرسالة)	**طاعة منفصلة (مقام النبوة وأولي الأمر)**
(**أطيعوا** الله والرسول) (ويسألونك عن الأنفال قل) (ويسألونك عن المحيض قل) (من يطع الرسول فقد أطاع الله)	(**أطيعوا** الله و**أطيعوا** الرسول وأولي الأمر منكم) (قل هو الله أحد) (وما آتاكم الرسول فخذوه..) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك)

ونستعرض آيات القرآن المتعلقة بطاعة الرسول، ونصنفها حسب الجدول كل واحدة حسب محتوى النص.

هل يوجد وحي تشريعي مُلزم خارج القرآن

سأناقش أهم ثلاث شبهات؛ يعرضها أهل الإسناد في الاستدلال على أن حديث النبي هو وحي من الله، وملزم لكل المجتمعات خلال الزمن.

الشبهة الأولى: استدلالهم على نزول الأمر الإلهي باستقبال جهة الشمال في الصلاة خارج النص القرآني، وذلك فهماً من قوله تعالى: **{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }** (البقرة144)

وتم نسخ هذا الحكم بالقرءان فيما بعد، وقالوا: هذا دليل على أن النبي كان يوحى إليه أحكاماً شرعية خارج النص القرآني، ما يدل على أن التشريع الإلهي نزل بصورتين : أحدها في القرءان وهي الأساس ، والثانية بواسطة الحديث النبوي، وبالتالي فحديث النبي وحي من الله ملزم لكل المجتمعات خلال الزمن .

والجواب على هذه الشبهة هو، أولاً، ينبغي أن نضبط محل النقاش، والحوار، فنحن لم ننفِ نزول وحي على النبي خارج النص القرآني، وإنما ننفي نزول وحي تشريعي إنساني دائم خارج النص القرآني، فهل يصح أن يلتزم أحد الآن باستقبال جهة الشمال في صلاته !؟ ولأن الله لم يُرد لهذا الحكم صفة الديمومة والثبات؛ أنزله

خارج النص القرآني ، وأنزل نَسخَه بالنص القرآني ليعطي للحكم الجديد صفة الثبات والديمومة، ما يؤكد أن كل حكم شرعي دائم ينبغي أن ينزل في القرآن فقط، وما نزل في القرءان لا يصيبه النسخ أبداً، أما التشريع الإلهي الظرفي فقد نزل على النبي خارج النص القرآني لأنه خاص بمعطيات وحيثيات معينة مرتبطة بزمن النبي، ولا يصح الالتزام بها بعد اكتمال نزول القرآن، وبالتالي فالقرآن قاضٍ على الحديث النبوي، وحاكم ومهيمن عليه.

هل كل نطق النبي وحي؟

الشبهة الثانية: استدلالهم بقوله تعالى: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى }{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }** (النجم3-4) على أن كل ما ينطقه النبي هو وحي من الله .

إن لفهم النص ينبغي إرجاعه إلى مكانه ضمن سياقه الذي أتى فيه، والتفريق بين كل من (**اللفظ، والقول، والحديث ، والكلام، والنطق)**.

اللفظ: هو خروج أصوات من الفم لا معنى لها نحو التأوه والأنين..

القول: هو لفظ ذو معنى ودلالة يخرج من الإنسان ويدل على حاله.

الحديث: هو قول جديد.

الكلام: هو قول يترك أثراً في سامعه.

النطق: كلمة تدل على القوة الكامنة في الإنسان فيزيولوجياً ونفسياً لاستصدار مجموعة من الأصوات بقانون فيزيائي ضمن نظام معين. ولذلك سمي الإنسان حيواناً ناطقاً.

والإنسان محاسب على أقواله، وليس على ألفاظه {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (ق18).

إذاً؛ النطق هو عملية آلية واعية يتم استخدامه في الكلام والحديث والقول.

والنص القرآني المعني بالشرح، يتكلم عن مادة الوحي، التي يتلوها الرسول على الناس، وليست هي إلاَّ القرآن، وهذا واضح من سياق النص مع النصوص الأخرى، فالرسول ليس له من تدخل في أمر مادة الوحي، سوى أن الله يستخدم جهاز نطق الرسول لتلاوة النص القرآني. وهذا دليل على أن النص القرآني من الله مبنى وصياغة لسانية، وبالتالي لا يصح الاستدلال بهذا النص على عموم نطق النبي من كلام، وقول، وحديث لأن ذلك باطل من حيث الواقع، ولا يقول أحد من العقلاء بذلك، فهذه الأمور هي من تأليف النبي، وتفاعله كنبي وبشر. والمقصود بالنص هو كلام، وقول، وحديث الله عز وجل فقط.

هل الذِكر هو حديث النبي، أو القرآن؟

الشبهة الثالثة: استدلالهم بقوله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }**{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** (النحل43-44) على أن كلمة (الذكر) في النص الثاني يقصد بها مادة الحديث النبوي، ما يدل على أنه وحي من الله ، ووظيفته بيان للنص القرآني ، ولا يمكن الاستغناء عنه أبداً.

إن علماء السلف يقتطعون من هذين النصين المترابطين معاً مضموناً، جملة، وهي **{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** و بنوا مفهومهم الأبتر على ذلك.

وقالوا : الذي نزل إلى الناس هو القرآن، فيكون الذكر يقصد به السنة، وبالتالي السنة وحي نزل على محمد ليستخدمها في عملية البيان للقرآن، وعند التطبيق والممارسة لهذا المفهوم، لا يجدون

أمامهم سوى مادة الحديث النبوي، فيأخذونه تحت اسم السنة، ويتخبطون بذلك المفهوم، وسبب كل ذلك هو اقتطاع جملة من سياقها، أو أخذ النص دون إرجاعه إلى منظومته.

وظيفة البيان متعلقة بالحديث النبوي ، أم بالقرآن؟

إن أهل الذكر في النص الأول هم أهل الكتاب، والذكر الذي نزل إليهم هو التوراة والإنجيل. أما كلمة الذكر الثانية }**{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** فهي القرآن، والذي نزل إليه الذكر هو النبي محمد. وجملة **{ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** غير عائدة إلى كلمة الذكر التي قبلها مباشرة، وإنما عائدة إلى الذكر السابق الذي نزل للناس. فالنص يحتوي على فعلي نزول.

الأول: **{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ }** والمخاطب به محمد، والذكر الذي نزل إليه هو القرآن، ليقوم بتلاوته على الناس جميعاً.

الثاني: **{ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** وهو فعل نزول إلى الناس سابقاً، وليسوا هم إلا أهل الكتاب والذكر الذي نزل إليهم هو التوراة والإنجيل.

ففعلا النزول غير عائدين إلى مادة واحدة، وإنما لكل منهما مادة مستقلة فتكون وظيفة التبيين للرسول**{ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }**هي استخدام الذِكر الذي أنزل حديثاً، وليس هو إلاَّ القرآن في عملية التبيين للذكر الذي نزل سابقاً، وليس هو إلاَّ التوراة والإنجيل، ويكون البيان من جراء عرض وتلاوة الذِكر الحديث (القرآن) على مسامع أهل الذكر القديم (التوراة، والإنجيل) ليقوموا بتدقيق ذكرهم القديم على موجب الذكر الحديث، فيظهر لهم مواضع التحريف، ويظهر لهم ما قد تم نسخه، أو تعديله بالذكر الحديث، وما تم إقراره واستمراره لصلاحيته. لذلك أنهى الله النص بقوله: **{وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }.**

إذاً، وظيفة البيان، التي يقوم بها الرسول بواسطة الذكر الحديث (القرآن)، إنما هي وظيفة تاريخية لذكر قديم (التوراة والإنجيل)، ليتم

تصويب، وتعديل القديم على ضوء الحديث ونوره. هذا تفسير وظيفة التبيان للرسول بالنص السابق، ولا علاقة له بمادة الحديث النبوي إطلاقاً، وبالتالي فاستدلال بعض العلماء بهذه الجملة المقتطعة من النص خطأ فاحش، وينبغي إرجاعها إلى سياقها، وقراءتها وفق النص كاملاً ضمن المنظومة الكلية، التي تنص على أن القرآن هو بيان بنفسه، ونور لغيره لا يحتاج لمن يبينه، فهو هدى وشفاء لما في الصدور.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس 15)

﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾**(آل عمران 138)**



لمحة عن المؤلف

سـامر محمد نزار إسـلامبولي

تولد: دمــشق... ســورية... 1963م.

عضو في اتحاد الكُتاّب العرب في سورية

باحث في الدّراسـات الإسـلامية

صدر له مجموعة من المؤلفات الإسلامية

نُشر لـه مقـالات فـي مجلـة العـالم، ومجلـة شـباب لـك، ومجلـة إسـلام 21 وجريـدة الوقت البحرينيـة ، وجريـدة المثقف ، وجريـدة الأسـبوع الأدبي ، وبعض الصّحف العربية الدّورية

عنوان المؤلف : مصر- القاهرة

هاتـــف : 00201141025253

البريد الإلكتروني : s.islambouli@gmail.com

منتــــــــدى الباحــــــــث ســــــــامر إســــــــلامبولي

ttps://www.facebook.com/groups/1703028830/83402